تـمّ تحميـل هـذا الملـفّ مـن مكتبـة الأديـب الرّاحـل رمضـان لاونـد | جميـع الحقـوق محفوظـة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنامج

في رحاب القرآن –84

مقدمة البرنامج .....

مؤثرات .....

الراوي (1) : التربية بالتعويد على العادات الحسنة هي الخطة المثلى لأعادة تشكيل الإنسان تشكيلاً يمنحه فرصة التقدم والازدهار..

الراوي (2) : والتربية التي تهدف إلى محو الأفكار والعقائد المنحرفة واستبدال عقيدة الوحدانية والثقة المطلقة بالله عز وجل بهذه وتلك من العقائد والأفكار المنحرفة هي المنطلق الوحيد الصالح لتدعيم رسالة الحنيفية السمحاء .

الراوي (1) : وقد كان من رحمة الله بالناس أن القرآن قد واجه التقاليد والعادات بالوسائل التي تصلح بها دون تعارض مع السنن والقوانين الطبيعية ولا عجب في ذلك فهو كلام الله .. وكلام الله هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

الراوي (2) : والجدير بالذكر أن الندوة السابقة التي انعقدت بعناصرها الدائمة قد سلطت الأضواء على خطة القرآن في التغيير السريع لعادات الشرك وما يتعلق بها من الطقوس الوثنية ثم عادة وأد البنات وأخيراً العادات النفسية السيئة من مثل الكذب والغيبة والنميمة والعنجهية الفارغة ..

الراوي (1) : أما فيما يتعلق بالعادات الجماعية المتصلة بطريقة العيش ونظام الحياة الاقتصادية فإنّ القرآن قد اتخذ منها موقفاً تربوياً خاصاً هيأ به الظروف المادية والمعنوية بحيث تصبح عملية التغيير هي الحصيلة الطبيعية والضرورية لمثل هذه الظروف ...

نقلة موسيقية ...

محمد : أيها الأبناء .. كلكم تعلمون أن العادات جزء من تراث الأمة .. ولذلك فإنّ تغيير ما يسوء منها يحتاج إلى عملية تصحيح للأفكار القديمة والظروف المادية والمعنوية التي تتوارثها الأجيال ..

سعيد : لكن المهمة صعبة يا أستاذ **محمد** .

محمد : ومن أجل ذلك تعددت النبوات ثم جاءت في فترات متباعدة . أو متقاربة تبعاً للعادات والأفكار التي تحتاج إلى تغيير ..

صالح : هل تعني بذلك أن تغيير الأفكار والعقائد يحتاج إلى ظروف تاريخية معينة ؟

محمد : وهل كانت النبوات المتعاقبة يا **صالح** إلا لأن كلا منها قد جاء في ضوء أوضاع معينة وظروف خاصة؟ وليس أدلّ على ذلك من أن النبوة الأخيرة هي نبوة للعالمين وهي آخر النبوات بينما كانت النبوات السابقة نبوات مرحلية ولشعوب أو أقطار معينة ..

جاسم : شكراً يا أستاذ **محمد** .. لكن يبقى أن تحدثنا عن العادات التي جاء القرآن يصححها بتدرج سريع أو بطيء . وبذلك نكون قد أدركنا وجهاً آخر من وجوه التربية في كتاب الله ..

محمد : حسن يا بني .. والواقع أن العادات التي قاومها الإسلام بتدرج يمكن أن تندرج تحت فصيلتين .. فصيلة تتصل بالعلاقات الاقتصادية البحتة وشؤون الرزق من مثل الرق والربا . وفصيلة تتصل بالعادات الاجتماعية ذات الجذور القديمة والتي رافقت حياة الإنسان في مجتمعه من مثل معاقرة الخمر وارتكاب الفاحشة أو الزنا ..

سعيد : هل تقول لنا كيف تم تحريم الربا وجرت مقاومة الرق في القرآن ؟

محمد : أما الربا يا **سعيد** فالثابت أنه عادة ذات طابع اقتصادي .. وإن كثيرين من الناس كانوا يجدون في التعامل بالربا وسيلة من وسائل العيش .. بل إنهم كانوا يبنون حياتهم وينظمون علاقاتهم الاجتماعية على أساس أن الربا هو جوهر هذه العلاقات وقاعدة تلك الحياة ..

صالح : لعلك تريد أن تقول لنا إن مقاومة هذه الآفة كانت تحتاج إلى نضج للرسالة الدينية الجديدة التي جاء بها النبي المصطفى عليه السلام . فاحتاج الأمر إلى تأجيلها حتى فترة متأخرة ..

محمد : طبعاً يا **صالح** .. لا سيما وأن تحريم الربا قد تأخر حتى العام العاشر من الهجرة .. أي أنه كان واحداً من الإجراءات الحاسمة الأخيرة التي اتخذها الشارع الإسلامي قبل وفاة النبي عليه السلام ..

جاسم : هذا بالنسبة للربا أمر ظاهر .. لقد جاء التحريم جازماً قاطعا في النهاية في قوله تبارك وتعالى : " وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا " وقوله أيضا :" يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ " .. أما بالنسبة للرق فمقاومته في الحقيقة لا تتميز بمثل هذا الحسم .

محمد : يا بني لو أنك عدت بذاكرتك إلى أيام خلت لتذكرت شواهد ونصوصاً من كتاب الله تثبت أن مصدر الرق الأساسي في الإسلام قد ألغي بصورة نهائية هو الأسر الذي يجري في نهاية كل حرب .

سعيد : يضاف إلى ذلك أن الشارع قد ألح أن يجعل من تحرير الرقيق قربى إلى الله أو كفارة عن عدد من الذنوب. وهو أمر ورد ذكره أيضا في ندوة سابقة .

صالح : هل تسمح يا أستاذ بالعودة إلى هذه النصوص والشواهد القرآنية مرة أخرى ؟

محمد : كلا يا **صالح** لا أجد حاجة إلى ذلك .

جاسم : الحقيقة أنني لم أنسى شيئاً مما ذكر .. فأنا أعلم كما تعلمون أن القرآن قد ألغى استرقاق الأسرى في الحرب وجعل مصيرهم بين المن والعذار ... أعلم أيضا أنه قد جعل عتق الرقيق قربى إلى الله وكفارة . لكن هذه الاجراءات لم تبلغ مرحلة القطع الحاسم كما رأينا في قضية الربا رغم تأخر الشارع في تحريمه . إلا أنه جاء تحريماً قاطعا . هكذا نزل وهكذا فهمه المسلمون منذ الجيل الأول . لكن الرق يتخذ ثوباً آخر . الحسم فيه غير وارد بمعنى أنه لم يحرم وإن وضعت الاجراءات الكفيلة بالقضاء عليه بمرور الأيام وتعاقب الأجيال ..

محمد : هذا صحيح يا **جاسم** ..

جاسم : لماذا كان هذا كذلك ؟

محمد : الجواب قد قدم إليك على جرعات من قبل وها أنا أعود إليه مرة أخرى . الرقيق كان القوة العاملة في البناء الاجتماعي الاقتصادي .. أي أنه كان قاعدة اقتصادية ضخمة . فإذا الغيث هذه القاعدة مرة واحدة نتج عنها اضطراب في البنية الاجتماعية الاقتصادية ونشأت تمزقات داخلية لا تحدث بدورها غير مزيد من الحقد ..

صالح : هل يعني هذا أن الإسلام يرفض خطة التغيير بالعنف ؟

محمد : نعم يا بني .. وهو يرفضها لأنه يعتبرها غير واقعية ولئن تحققت فهي لا تعطي بعض ثمارها إلا بالعنف والاضطهاد وإسالة الدماء وحرمان الناس من كل حق حتى حقهم في التفكير والاعتقاد ..

سعيد : وما هي الطريقة التي ينادي بها الإسلام للقضاء على ظاهرة الرقيق ؟

محمد : إنها الطريقة النابعة من خطته التربوية الأساسية . الخطة التي شملت العادات والتقاليد ... فتلغي ما هو في قمة الفكر والعقيدة وتتدرج في إلغاء ما يتصل بارزاق الناس وعلاقاتهم الاجتماعية الذاهبة عميقاً في الجذور ..

سعيد : يبدو لي يا أستاذ **محمد** وأنا أقلب النظر في كثير من ادعاءات بعضهم ومناداته بتحرير المجتمع من الرق .. إن الرق كنظام قد ذهب واختفى ولكنه ما يزال واقعاً من الناحية الاجتماعية حيث الحرمان من كل الحقوق وحتى من مصادر الرزق بدعوى الحفاظ على المكاسب الجديدة هو حقيقة قائمة ..

محمد : أيها الأبناء أحب أن تعلموا شيئاً هاماً جداً هو أن القرآن قد تميز وهو وحي من أحكم الحاكمين ، قد نزل رسالة إلى البشر وجاءت فيه الأوامر والنواهي من السماء لتربية البشر في ضوء طبيعتهم والسنن التي يخضعون لها . فهو اذاً تشريع إلهي له بُعد بشري لأن الغرض منه تشكيل البشر تشكيلاً تصلح به شؤونهم .

جاسم : شكراً يا أستاذ **محمد** على إيضاحاتك .. وإنني في هذه المناسبة أذكر أن التشريع المفاجىء الذي يهدد توازناً اجتماعياً اقتصادياً قائماً دون إعداد مسبق لا يلبث أن يحدث بلبلة شديدة .. وقد فكرت وأنا أستمع إلى الحوار بظاهرة خاصة هي أن تغيير العلاقات الاجتماعية الاقتصادية يعني تغييراً في حياة المجتمع كلها. ومن هنا أدركت السبب الذي دفع القرآن إلى تحريم الربا تحريماً قاطعاً في المرحلة الأخيرة من حياة الرسول عليه السلام وإلى وضع الترتيبات التي يجب أن تؤول بطبيعتها بعد سنين قليلة أو كثيرة إلى إلغاء نظام الرق .

صالح : أعتقد يا أستاذ **محمد** أننا قد أحطنا علماً بالظروف التي أحاطت بكل من الربا والرق أما الخمر والزنا فلم نسلط عليهما الأضواء بعد ..

نقلة موسيقية ..

الراوي (1) : وهنا يعرب الأستاذ المحاضر عن استعداده لإلقاء الصور على هاتين الظاهرتين الفاسدتين وذكر الأسلوب الذي لجأ الإسلام إليه في مقاومتهما .. فقال : الخمر والزنا قد جرى تحريمهما بتدرج تماماً جرى تحريم الربا بعد فترة طويلة نسبياً من بداية الدعوة الإسلامية وأعدت العدة لعتق العبيد بعد فترة طويلة تتجاوز عهد الرسول عليه السلام .

الراوي (2) : ثم يقول أما بالنسبة للخمر فإنّ صورة تحريمها قد تعاقبت فيها الخطوط كما يلي :

1) كانت أول إشارة الى تنفير الناس من الخمر قوله تبارك وتعالى عن السكر في سورة النحل : " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " .. وبذلك سلط الضوء على جانبي الموضوع .. الجانب الكريه الذي هو السكر والجانب الحسن الذي هو الرزق .

الراوي (1) : 2) جاءت إشارة أخرى من بعد تتحدث عما في الخمر والميسر من الإثم الكبير والمنافع وتعلن أن الإثم فيهما هو أكبر كثيرًا من النفع . فيقول تبارك وتعالى " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا " ..

الراوي (2) : ويعقب الأستاذ **محمد** قائلاً : في هذه الآية تبدأ مرحلة الإيحاء الوجداني الذي يعد النفس لخطوة لاحقة تتميز بقدر كبير من القطع والحسم .

الراوي (1) : ثم تظهر الإشارة الثالثة التي يصدر بها التحريم ولكنه ليس التحريم الفاصل في كل وقت بل هو التحريم الذي يشرع من أجل أن يؤدي المسلم صلاحته بإحسان فلا يضطرب لسانه بسبب السكر . ومن هنا جاء قوله تبارك وتعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ " ..

الراوي (2) : وهنا يقول الأستاذ المحاضر : أرأيتم أن تحريم الخمر قد جاء تبريره وتفسيره في قوله : " حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ " .. ثم كانت الخطوة الأخيرة التي اصبح فيها التحريم فاصلاً حاسماً وقاطعاً لا يقبل حلاً وسطاً كما في قوله تبارك وتعالى في سورة المائدة : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ..

الراوي (1) : وينتقل الأستاذ المحاضر من بعد إلى إلقاء ضوء على الطريقة التي حرم بها الزنا فيقول : أما الزنا فقد تم تحريمه أيضاً باسلوب التدرج فانتقل من النصيحة الى التهديد بالعقوبة فإلى تقرير عقوبة مجملة ثم تقرير عقوبة محددة تطبق على من يهتم بهذه الجريمة ضمن شروط معينة أو في حالة الإقرار ..

الراوي (2) : ثم يعود الأستاذ المحاضر إلى الموضوع مرة أخرى فيعلن أن التربية القرآنية في هذا الميدان قد تدرجت في نظام آخر من التوجيه والتعليم فابتدأت بالدعوة إلى عدم إكراه الفتيات على البغاء مع إباحة زواج المتعة . ثم انتقلت إلى تحريم البغاء وتحريم زواج المتعة في آن معاً وانتهت بذلك إلى إغلاق كل الأبواب التي كانت مشرعة من قبل في هذا الميدان ولم تستبق غير الباب الكبير الواحد والصحي وهو الزواج الدائم المعقود على اسم الله .

نقلة موسيقية ....

صالح : هذه دورة كاملة سمعنا فيها أقصى ما يمكن أن نسمعه وإننا اذ نشكرك على ما تفضلت به نتمنى عليك أن تحدثنا في ندوات قادمة عن قضايا تتصل بجوانب أخرى من عالم القرآن .

سعيد : واسمح لي أنا شخصياً أن أقترح شيئاً محدداً ؟

محمد : وما هو يا **سعيد** ؟

سعيد : ما رأيك وقد درت بنا دورة واسعة في عدد من المواسم الدراسية وعرفتنا فيها بجوانب حافلة بالفائدة من كتاب الله أن تقدم إلينا صورة مستوفاة عن المراحل التي مر بها تفسير القرآن والمذاهب التي أثرت في تفسيره ؟!..

محمد : أما هذا يا بني فهو مطلب لا يتسع للإجابة عنه مثل هذه الندوة لا سيما وأن ما بقي منها عدد قليل..

جاسم : أعتقد أن مطلب زميلي **سعيد** يحتاج إلى موسم دراسي كامل لتنفيذه ولذلك فإنّني أقترح الاستمرار في إلقاء الضوء على الخطط التربوية في القرآن أو في إبراز بعض المفهومات التي تميز بها القرآن وهو يتعرض لتشكيل الإنسان في ضوء المنهج الإلهي الذي جاء هدى ونوراً ورحمة .

محمد : أحسنت يا **جاسم** .. وستكون ندواتنا الباقية إن شاء الله ميداناً لهذا النوع من النماذج التربوية والمفهومات الخاصة بالإنسان في كتاب الله .. فإلى ندوتنا القادمة والسلام عليكم ورحمة الله ..

موسيقى نهاية .....